محمد بسيم الذويب

انعتاق



غازي

محمد لسيم الذويب

انعتاق

ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.
قرآن كريم

طبع شركة التجارة والطباعة (ذ٠م٠م٠)
شارع الاحرار ـ الصالحية ـ بغداد

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الاهداء

الى من فضل الحياة فى تلك البقعة النائية من أقصى الحـدود الغربية الجنوبية ، فى معسكر تحيط به خنادق النار والاسلاك الشائكة ، لا ماء فيه الا ما يستقى من هذه الآبار المليئة بالاقذار ، من مياه كدرة رنقـة ....

الى من فضل ذلك كله على العيشة الراغـدة الهينة اللينة ، فى قصور العاصمة وملاهيها ، من أجل أن يكون قريباً من « صديق » .. فى وقت عزّ فيه الاصدقاء .

الى رفيق صباى .... وزميلى فى الكفاح ... الذى لم تكتحل عيناى برؤيته منذ ثمانى عشرة سنة ...

الى شقيق الشـهيد محمود سلمان .

الى صديقى « محمد سلمان » أهدى هـذا الكتاب .

بسيم النويب

ثورة الادب
و
١٤ تمــوز

أخى المواطن :ـ

كان يوم ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ حــداً فاصلا بين عهدين فى العراق ، عهد الطغيان والاستعباد والحكم الملكى الفاسد ، وعهــد الحرية والسيادة الكاملة للشعب ، فلا عجب اذا هرعت الى صندوق صغير كنت قد أخفيته فى حرز حريز منذ عشر سنوات أو تزيد لاخرج منه أوراقاً كاد أن يعفى عليها البلى ، فبدت صفراء اللون قد تمزقت بعض حواشيها ، فابعث بها الى المطبعة لتجدها بين يديك ايها المواطن العزيز ، فقد آن أوان نشرها ، فما كان لى أن أنشرها وأنا أعيش فى بلد كانت السجون والمواقف تغص فيه بساكنيها الى درجة أصبح من النادر أن تجد بين المواطنين من لا علاقة له بالسجون والســجناء ، فمن لم يكتب عليه دخول السجون العامة والمواقف المبثوثة هنا وهناك فى مراكز الشرطة ، فلا بد أن له بين نزلاء الســجون أخاً أو ولدا أو قريباً أو صديقاً أو شخصاً من معارفه الكثيرين أو رجلاً من رجال الفكر يحمل له شيئاً من الاحترام والتقدير ، هــــذا اذا لم نعتبر العراق بأجمعه فى ذلك العهد سجناً كبيراً ، نزلاؤه هــذه الملايين السبعة من النساء والرجال والشيوخ والشباب المحرومة من متابعــة الحركة الفكرية فى العالم بسبب منع الصحف والكتب العربيـــة والاجنبية من دخول العراق الا ما يتفق ومصلحة الفئة الحاكمة ، ومن

ورائها الاستعمار ، وحرمان المواطنين من ممارسة حقوقهم الدستورية التى حصلوا عليها بدمائهم ، وبالتضحيات الجسام التى قدموهــا فى ذلك •

فالصحف الوطنية عرضة للانذار والتعطيل بسبب وبدون سبب ، والامتيازات الجديدة لا تمنح الا للانصار والمقربين ، ونقابات العمال تغلق بالجملة ، والاحزاب تلغى بجرة قلم ، والجواسيس تحصي على الناس أنفاسهم ، والمواطنون يساقون الى المنافى النائيــة زمراً ، فاذا لم تكن هذه صفات السجن ، فكيف تكون السجون اذاً ؟

أما السجون الرسمية فان حديثها يوحى الى النفوس ألماً وأى ألم ، ويبعث فى قلوب الناس الرعب والهلع ، خشية واشــفاقاً من هــذه التقارير التى يرســلها أفراد البوليس (السرى) فيؤخذ المتهم البرىء الى هذه المواقف المتعددة ليقضي فيها الايام والليالى ما شاء الله له أن يقضي ويحتمل من ألوان العذاب ما شــاء الله له أن يحتمل ، منتظراً اليوم السعيد الذى يمثل فيه أمام المحكمة المختصة ، فيحكم أو تبرأ ســاحته وتذهب هذه الايام التى قضاها فى التوقيف وانقطع فيها عن الكسب الحلال هدراً ، دون أن يعوض عنها شــيئاً ، أو ينال صاحب التقرير الكاذب جزاء وفاقاً عما سبب لذلك المسكين وعائلته من ألــم مادى ومعنوي •

هذا فى الوقت الذى كان الحاكمون فيه يتشدقون عن حقوق الانسان فى النظام الديمقراطى وانها مصونة من كل اعتداء واحترامها واجب فى كل زمــان ومــكان ومن جميع أنواع الظلــم والجــور السياسى والاجتماعى •

ولقد لقيت البشرية فى العهود المظلمة السحيقة كثيراً من الاضطهاد والاستهانة بكرامة الانسان وتشريد المفكرين والمثقفين ما كان يعتبر انتقاما من المجرم فكانت السجون فى تلك العهود مقابر لمن يدخلها لا فرق فى ذلك بين مجرم سرق مال جاره تحت جنح الظلام وبين الرجل المفكر (الواعى) الذى يختلف وحاكم البلد فى الرأى السياسى أو العقيدة المذهبية ، يسام الجميع داخل السجن سوء العذاب ، ويتلقون من الاهانات ما لا قبل لهم باحتماله .... الى أن تغيرت الارض غير الارض ، وأصبح الوعى نامياً ، وبدأت الشعوب تشعر أن الحكم من الشعب وللشعب وفى سبيل الشعب ، فما عادت تطيق صبراً على رؤية السجون القديمة فاندك سجن (الباستيل) بسواعد الثائرين وقبضاتهم فى ١٤ تموز .

وهنا فى العراق ... العراق الذى كان بأسره (باستيلاً) كبيراً قد تحرر فى ١٤ تموز أيضا ، وآن لهذه الاوراق أن ترى النور فى هذا العهد ، عهد التحرر والانعتاق ، عهد الثورة السياسية التى يجب أن تقترن به الثورة الادبية ، أو تسبقه بتعبير أصح (فالادب يثور قبل أن تثور السياسة) كما يقول الدكتور طه حسين (فثورة الادب هى التى تمهد الطريق لثورة السياسة ... لانها تهىء قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم ، تبغض اليهم نظاما قائماً وتحبب اليهم نظماً تحقق آمالاً تمتد اليها عقولهم وتقصر عنها أيديهم) .

وهذا الذى ستقرأه فى هذه الاوراق المصفرة من طول عهدها فى البقاء رهينة (السجن) خوفاً من انتقام الطغاة ليس أدباً قصصياً كما هو مفهوم القصص فى هذا العصر ، وانما هو شىء كتبته ونفسي ثائرة ، وقلمى ثائر ، وشاء ربك أن يخرج الى الوجود ويرى النور

فى عهد ثورة ، يقودها الثائران عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف ويرأس مجلس جمهوريتها نجيب الربيعى ، فان وجدت فيها أيهاالمواطن الكريم شيئاً يستحق أن يسمى أدباً فهو أدب ثائر ينتجه جيلنا الذى نشأ فى ظل الاستعمار والكبت والحرمان ، فاقنع به موقتاً منتظراً أدب الثورة الذى سينتجه الجيل الجديد الناشىء فى ظل الثورة المباركة وفى عهد الوحدة العربية التى سيتم تحقيقها على يدى جمال عبدالناصر قاهر الاستعمار وخالق القومية العربية ، وباعث نهضتها وقائد الثورة هو وصحبه الاكرمين .

بسيم الذويب

احلام اليقظة

- ١ -

من : م. س.

الى : ب. ذ.

بغــداد فى ٢٥-١-١٩٢٨

... لنبدأ العمل الذى اقترحته ولنجمع ما استطعنا جمعه من نفثات صدرينا ، فنبرزه للملأ على شكل رســـائل ممزوجة بالضحك والدموع .... الحقيقة والخيـــال ... الغبطـــــة والحزن ... التعقل والجنون ... ولربما تخلل مشــــــروعنا هذا فترات قصيرة بسبب انشغالى فى الدراسة ... ولكنه سيأخذ مجراه الطبيعى بعــد تخرجى ... واليك الآن حلماً من أحلامى ...

فى الشارع العظيم المعبد المتراصفة على جهتيه الابنية الفخمــة الجميلة ذوات الحدائق الغناء المتدلية أغصانهـــا على حافة الرصيف بثمراتها الناضجة تفوح منها روائح عطرة يحملها النسيم الذى يداعب وجنات الفتيات والفتيان وشــعورهم وهم يسيرون وعلائم الصحة بادية عليهم تنم على الرخاء الذى يعيشون فيه .

على رصيف ذلك الشارع الفخم الذى يخترق (بغداد) الحديثة عاصمة (الولايات العربية المتحدة) كان شيخ طاعن فى السن يمشي الهوينا جللت وجهـــه المتجعد لحيـــة ناصعة البياض ، وكان ذا عينين غائرتين ولكنهما حادتان ، ورأس متساقط الشعر تكاد تبرق صلعتـه تحت أشعة الشمس الحارة ، وهو يتوكأ على عكاز غليظ ، تبدو عليـه

آثار القوة فقد كان فى شبابه يعشق الرياضة ، ويأخذ نفسه بالخشونة والصرامـــة ، فعـــاش حتى بلغ أرذل العمر ولم يتقوس ظهره أو يحدودب •

وبينا هو يسير متمهلاً وعيناه ترمقان الجماهير المســـرعة الى الميدان الكبير ، اذ أبصر بباعـة الصحف يتراكضون وهم يصرخون (أخبار الصباح ••• اخبار الصباح) فمد الشيخ يده المرتعشة الى جيبه وأخرج قطعة من النقود مسدسة الشكل كتب على أحد وجهيها كلمة (درهم) وعلى الوجه الآخر عبارة (الولايات العربية المتحـــدة) ونادى على أحد باعة الصحف واشترى نسخة من جريدة (الفوز) فقرأ على صفحتها الاولى خبراً جعل وجهه يتهلل فرحاً ، وكان الخبر منشوراً بأحرف بارزة وهذا نصه (تقام فى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم ١٨ تشرين الثانى سنة ١٩٩٩ حفلة أزاحة الســتار عن تمثال القائد العظيم ، المناضل الذى كافح الاستعمار دون هوادة ، حتى أعاد بزعامته الى الامة العربية مجدها المفقود ، وحريتها المغتصبة ، ألا وهو الفريق (••••) ••••••• وذلك فى الميدان الفسيح الذى يتوســط سبعة شـــوارع والمسمى باسـمه ، فبرقت عينا الشيخ أنه تذكر صديق صباه ••• وأيام الدراسة الممتعة ، وما أعقبها بعـــــد ذلك من جهاد مشترك ، متواصل ، ضحى صاحب التمثال بنفسه فى سبيل الحصول على الظفر النهائى ••• فأشار الى احـدى ســـيارات الاجرة وصاح بالسائق أن اسرع الى مكان الاحتفال •

جمع غفير ، جماهير محتشـــــدة ، جنود من مختلف الصنوف واقفون بنظام الكتلة ، بكل خشوع ••• العيون شـــــاخصة الى نصب شامخ مغطى بستار حريرى يتوسط الميدان •

وما أزف الوقت حتى وقف أحد الزعماء خطيباً فقال (أيهـــا الجمع الحافل ... لا شك انكم تذكرون ما كابدته هذه الامـــة المجيدة من الاستعمار البغيض ســـنين طوالا ... وكيف كانت تمر الايام ثقيلة يكتنفها الظلام ، يرزح خلالها شعبنا العظيم ، تحت وطأة الظلم ، تنخر الفاقة أجسام افراده ، وتفتك الامراض بهـم ، مشتت الاوصال ، تعبث بكيانه الايدى ، وتتقـــاذفه الاهواء . فلئن جهل الشباب منكم ما كنتم عليه قبل سبعين عاما ، فان فى هذا الجمع الحاشد شيوخاً تحدثنا عن الفظائع والويلات والعســـف والارهاق الذى ارتكبه المستعمرون ضد الشعب العربى العظيم ... تحدثنا عن الايام السود والليالى المظلمة ، والعيش المر الاليم ...) .

وهنا تململ الشيخ وأراد أن يتكلم لولم يسترسل الخطيب قائلاً :

(أما اليوم فنحن أحرار ، رافلون بأثواب السعادة والرفاه ... لا ينكد علينا عيشنا مستعمر دخيل ... أنظروا الى هذا الشعب العظيم الذى اتحد وائتلف ، وعاد نجمه الآفل الى التألق وصفت سماؤه التى كانت متلبدة بالغيوم ، هذا الشعب انتفض بعد أن استكان للمستعمرين مدة طويلة ، ولحق ركبه بقافلة الشعوب التى سبقته فى التحرر ، فعاد الى بلادنا العزيزة عصر آخر من عصورها الذهبيـــة ... وها نحن نحتفل اليوم بازاحة الستار عن تمثال قائدنا العظيم الذى قاد الجماهير الشعبية الى النصر ، وطرد بقايا جيوش الاستعمار التى كانت تدنس أرض الاجداد المقدســة) .

هنا وثب الشيخ صارخاً بصوت كالرعد (ايها الخطيب مهلاً ... ايتها الجماهير معذرة... اسمعوا كلمة جندى قديم زامل فى الجهاد...).

ايقظت تلك الصرخـــة الهائلة جميع النائمين من أهل البيت

واستيقظ هو نفسه واسرع اليه والده مذعوراً ، وهو يقـول (ما لك يا ولدى ؟ وأى خطيب تريد ؟ وأى جمع حاشد تخاطب •••• ومن هو الجندى القديم •••• فما أنت الا جندى حديث لا تزال فى ريعان الشباب •••• وميعة الصبا) •

واجتمع أخوته وأهلوه جميعــــاً يلاحظونه وعيونهم مغرورقة بالدموع ، فقد كان عزيزاً عليهم ، فخافوا أن يكون قد ألم به طائف من الجن ••• فأخذوا يجاذبونه أطراف الحديث وهو مطرق لا ينبس بنت شفة ، وعاد فأغمض عينيه لعله يعود ليستمتع بما رآه فى الحلم اللذيذ قبل لحظات • وفيما هو كذلك اذ أقبل الخادم بجرائد الصباح واذا بأخيه الاكبر يقرأ فيها خبراً مفاده (ان سيجرى الاحتفال غـداً بازاحة الستار عن تمثال القائد الكبير ••• الجنرال مود الذى فتـح بغداد) فصرخ الفتى صرخة ارتجت لهـا أركان الدار ••• وكاد أن يقع مغشياً عليه ، فما أعذب وألذ ما رأى فى منامه ••• وما أشــد وأقسى ما ســمعه الآن ••• فعجب أبوه واخوته لامره ••• فما أن قص عليهم ما رآه فى المنام حتى شـاركوه فى ألمه •

وفى اليوم التالى كان الفتى يسير فى شارع من شوارع الكرخ فى بغداد القديمة قرب الجسر المسمى باســم صاحب التمثال •••• رأى جند الطغاة يحتفلون بازاحة الستار عن تمثال فاتح بغداد ••• وطياراتهم تحلق فى سماءبغداد •••• أزيزها يكاد يصم أذنيه •••• وصفوف جنودهم تدوس قلبه وتمزق احشاءه ••• رأى وجوهـا كالحة ••• ليست كالوجوه التى رآها فى حلمه ، صبيحة مستبشرة ، فتألم وتمرمر ••• وتأوه وتضجر ••• ولولا بقيـة أمل لديه لمـا استطاع الثبات ••• ؟

من – ب. ذ.
الى – م. س.
بغداد في ٢٥-١-١٩٥٠

عشرون سنة مرت على كتابك ذاك وازدادت اثنتين ، اثنتان وعشرون من السنوات العجاف انقضت على كتابك وهو قابع في ركن من أركان مكتبتي الواسعة ، تطبق عليه دفتا كتاب قديم كنت أطالع فيه أيام الصبا وأنا مستلق في فراشي استجلاباً للنوم ، فلا يستجيب النوم لنفسي ، أو لا تستجيب نفسي للنوم ، الا لماماً ، فقد كانت نفوسنا في تلك الايام ، تواقة الى العمل ، تستعجل قدوم الصباح لنبدأ العمل ، العمل الذي نتذوق لذته ، فلا نريد أن ينقضي النهار ليسلمنا الى ليل مظلم ليس فيه الا استلقاء على الفراش ، واحلام كبيرة تراودنا في منامنا ويقظتنا ، في ليلنا ونهارنا ، فقد كنا نحلم دوماً خلال ايامنا تلك بآمالنا وأمانينا ، وآمال الشعب وأمانيه ، نحلم بما سوف نقدمه في قابلات الايام لوطننا التعس المنكوب بالاستعمار من خدمات وتضحيات ... تلك الايام ... أتذكرها ؟ أتذكر ساحة التدريب في تلك البقعة من الارض التي كنا نتدرب فيها على استعمال السلاح ، وعلى الكر والفر ، وغيرها من فنون الحرب وأساليب القتال ... أتذكر تلك البقعة من الارض ... التي أصبحت الآن قصوراً شامخة ، وحدائق مزهرة ، تتخللها الشوارع المنسقة البديعة ، تدب عليها هذه (الباصات) الضخمة الحمراء ، التابعة لمصلحة نقل الركاب ، الممتلئة أبداً في غدوها ورواحها ، لا تكاد تقف عن السير ، الا لتستأنف سيرها من جديد ، يتصايح من داخلها الركاب ، فيرد على صياحهم

(بائع التذاكر) متذمراً من ندرة القطع الصغيرة من هـــذا المعدن المصنوع من النيكل حيناً ومن النحاس أحيانا ٠

انك لا تذكر كل هذا الآن ٠٠٠٠ لانك لا تعرف عنه شيئاً فقد طالت غيبتك عن وطنك العزيز فلم تكن موجوداً حين انشئت هـذه المصلحة ، او لم تنشأ المصلحـــة المذكورة حين كنت فى وطنك ٠٠٠ ولكنك لا بد ذاكر ٠٠٠ تلك الايام حين كانت هذه البقعة من الارض، المنشأة عليها اليوم هذه القصور الضخمـــة ، والحدائق المزدهرة ، ســاحة للتدريب ، وانك لتذكر ولا شك ، ذلك الضابط البريطانى ، فارع القامـــة ، عريض المنكبين ، عصبى المزاج ، الذى كنا نتندر – فى غيابه – عن بعض تصرفات شــاذة ، كان لا يأتيها رجل يتمتع بكامل قواه العقلية ، منها ثورته الكبيرة ، على العصفور الصغير الذى دخل غرفته – دون استئذانه – وكيف رماه بساعته الثمينة فحطمهـا دون أن يصيب ذلك العصفور بضر ، وكيف كان يأخذنا بكثير من الشدة والحزم ، فيسوقنا الى ميدان الالعاب كما تســـاق الاغنام الى حظيرتها فى المساء ، وكيف كنا نعدو أمامه ، وهو يهوى على ظهورنا باحدى العصى المستعملة فى لعبة (الهوكى) ٠٠ ذلك الرجل (الوحشى) الذى نصبته (الحكومة الوطنية) مفتشاً علينا أو مدرباً لنا ، او الذى نصب نفسه فأقرت الحكومة تعيينه مكرهة لا (بطلة) ٠

أتذكر يوم جاءنا فى ساحة العرض ، أو ساحة التدريب ، ممتطياً جواده الاصهب ، وكنا فى حالة الاستراحة آنذاك ، فالنظام العسكرى يمنح الضباط والجنود عشر دقائق راحة بين كل ساعة وأخرى من ساعات التدريب ٠٠٠ وقد وقف ذلك (البريطانى) الخشن لحظـــة على صهوة جواده ، ثم ترجل عنه فطلب (ضابطنا) الوطنى الموكل اليه

تدريبنا أن يسرع أحـــدنا فيمســك بعنان الجواد ، ريثما يتفضل (الصاحب) فيتفقد صفوفنا ، ويشرف على كيفية تدريبنا ...

أتذكر كيف امتنعنا جميعاً ، أن نطيع الامر الصادر الينا بذلك ، اذ اعتبرناه ماســاً بكرامتنا ، لاننا لم نكن خدماً ، وسائسـين للخيول البريطانية . أتذكر أيضا كيف خجل ذلك الضابط (الوطنى) فصرخ بأقربنا اليه (أن أذهب اليه أنت يا فلان) وكيف امتنع هـذا (الفلان) بإباء وشمم . فأصبح الموقف فى أشـد الحراجة ، حتى كاد أن يذهب ذلك الضابط بنفسه ليقوم بدور (السائس) لو لا ان (نذلاً) واحداً من بيننا خرج على ذلك الاجماع فهرول الى جهـــة (رجل الاستعمار) ولكن هذا رفض تسليمه الجواد ، وعاد الى قواعده خزيان أسفا ...

أتذكر تلك الايام ؟ السود ... أم قد أنسيتها لكثرة ما أصابك من محن واحن فى ديار الغربة طوال هذه الســنوات العشرين . ان كنت قد نسيتها فانى لمذكرك بها ... فلقد كانت أياماً مملوئة بالظلم والارهاب ، وبهيمنة الاستعمار على كل مرفق من مرافق الدولة ، وفى كل شـأن من شؤون الشعب ، ولكنها مع ذلك كانت أياماً (حلوة) مليئة بالكفاح والبطولة ، والايمان بالنتيجة الحتمية ، ألا وهى النصر العظيم ، النصر للشعب والخزى والعار للاستعمار . كانت هذه السبعة الملايين من الجماهير الشعبية لا تسـتنيم لحكم الدخيل ، الا نفر ممن غضب الله عليهم ولعنهم فى الدنيا والآخرة ، على انهم قلة لا يكادون يسمعون أصواتهم الضعيفة ، بين تلك الملايين من الاصوات العالية ...

لقد كان كل فرد من أفراد الشعب يأبى أن يقوم بدور (السائس) الذى يمسك بعنان الجواد ... أما اليوم وفى دور (الاستقلال) التام الناجز فكم هو عدد الذين يتسابقون لتمثيل ذلك الدور يا ترى ؟

أتذكر تلك الايام ؟ أتذكر موقفى واياك ورفيقنا (فلان) تجاه (علج) آخر من أبناء (التاميز) وكنا نحن نحمل من الرتب العسكرية أقلها شأناً ... وكيف غيرنا أسلوبه (الفظ) نحو زملائنا من ذوى الرتب العالية ؟ واجبرناه على الاعتذار ...

عشرون عاماً مضت منذ ذلك العهد الموغل فى البعد ، تبدلت الارض خلالها غير الارض ، وتغيرت نفوس الناس غير التى كانت ، وجرت حوادث وأحداث عصفت بالوطن الحبيب او كادت ، فما وهن الشعب ولا استكان ، ولكن الخطوب اسلمته الى شىء من الهدوء الذى يسبق (العاصفة) التى لابد أن تهب يوماً ، فتندلع النار الكامنة تحت الرماد ، وتأزف الآزفة ، ليس لها من كاشفة ، فتزحف الجموع الغاضبة ، وويل يومئذ لمن يقف فى طريقها ، ليسد عليها المسالك ، فيمنعها من الوصول الى هدفها النهائى ، وهو القضاء على الاستعمار ، وضعضعة أركان من يسنده (من الوطنيين) الذين جربوا هذا الشعب جيداً ، وعرفوا أن مؤمراتهم وما حاكوه من شباك طوال تلك السنين ، قد انهارت فى شتاء من هذه الاشتية التى مرت على البلاد قبل سنتين ، يوم انتبه (السادرون) من غفلتهم ، وفرائصهم ترتعد هلعاً على أصوات الجماهير وهى تصرخ معلنة شجبها لمعاهدة الذل والعبودية ، فعادت لا ترهبها دمدمة الرصاص ، ولا لعلعة الرشاش بالرغم من كونها عزلاء الا من الايمان بالنصر المبين ...

لقد زحفت جموع الطالبات والطلاب والعمال ، الرجال والنساء على اختلاف طبقاتهم متلقية الرصاص بصدورها ، كلما سقط منهم ، فوج أعقبه آخر ، حتى أذن الله للشعب بنصره ، وقضى على المؤامرة التى لم تكن الاولى من نوعها ولا هى بالاخيرة ....

ان الشعب لن ينسى ••• الاســـاءة ابداً ••• الشـــعب لا ينسى (مذبحة كاورباغى) والشعب لا ينسى معركة (جسر الشهداء) والشعب لا ينسى مأساة فلسطين او (مهزلتها) ••• سيذكر الشعب بألم ممض ، تلك الايام المظلمة ••• يوم سيرت الجيوش لتحرير البلد المقدس من براثن الصهيونية ، وأعلنت الاحكام العرفية بحجـــة المحافظة على (مؤخرة) الجيوش المحاربة فى خطوط القتال الامامية ، فسيق أفراد الشعب بتهمـــة الترويج لنبادىء الشـــيوعية والتجسس للحركة (الصهيونية) وكوفحت الحياة الحزبيـــة فى البلاد ، وعطلت نقابات العمال أو أصبحت بحكم المعطلة ، وقضى على النشاط (الطلابى) وفصل الاساتذة وطرد الطلاب الذين ضحوا بدمائهم الزكيـــة فى ســـبيل (تربة الوطن) من مدارسهم ، وقمعت الحركات (التحررية) بقســوة ما بعدها قســـوة ، وتعطلت القوانين ، وصودرت الحريات ، وألغيت امتيازات المئات من الصحف (بجرة قلم) وعنت الوجوه للحى القيوم ، وخفتت الاصوات فلا تسمع الا همسا •

جرى كل ذلك فى سبيل المحافظة على (عروبة) فلسطين المظلومة أو (الاندلس) الجـــديدة ، التى كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقهـا رغدا ، فكفرت (الدول السبع) بأنعم الله ، وجردت جيوشها الجرارة ، وحكمت شـعوبها بالنار والحديد •• تلك الشعوب التى ظلت (صابرة) على الهوان ، مضحية بحريتها الغالية ، مرخصة دماء ابنائها العزيزة ، باذلة النفس والنفيس فى سبيل انقاذ (مهد المسيح) وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، مما يبيت لها فى الخفاء من أمور (دبرت بليل) ••• فماذا أثمرت تلك التضحيات الجسام ؟ الدماء التى سفكت ، والسجون التى امتلأت ، والاموال التى اســـــتنزفت ••• لم تثمر - وا أسفاه ـ الا خيبة مريرة •

وليتك كنت معى ، يا صاحبى ، يوم عاد جيشنا العراقى (الباسل) وهو باســل حقاً رغم كل ما حدث إذ ليس الذنب ذنبه ، وانما الذنب كل الذنب ، والجرم كل الجرم ، يقع على عاتق المسؤولين عن قيادته حينذاك و(رئاسة) اركانه ...

أقول ليتك كنت معى حين مرت ارتال الجيش الباسل بين صفين من أفراد الشعب ، بينهم امهات وزوجات وأخوات الجنود العائدين من معركة (تحرير) فلسطين ... لترى كيف كن يتطلعن الى ذلك الرتل (الحبيب) بلهفة ، ويتصفحن الوجوه متسائلات عن ابن او زوج لهن ، مشفقات من سماع الخبر (المشؤوم) ... خبر استشهاد (زوج) هذه و (ولد) تلك فى ديار الغربة ، فيعلو هنك النشيج ، من الرفيق الذى يدلى بالخبر (المفجع) وتتعالى صرخات الام (الثكلى) والزوج (الارملة) المفجوعة هذه بزوجها وتلك بولدها اللذين ماتا فى سبيل.... فى سبيل قيام (دولة) لقيطة فى قلب (الوطن الاكبر) .

عشرون عامــاً تصرمت منـــــذ رأيت يا صاحبى فيما يرى النائم حلمك ذاك اللذيذ ... ولم يبق لتحقيقه الا خمســـون سنة أخرى لا بد أن نشدد خلالهـــــا (النضال) لتحقيق حلمى وحلمك ، وحلم الشعب الذى نذرنا له نفسينا ، ولكننا سنحقق (احلامنا) فى وقت أقرب من هذا ولن نقف عن السير حتى النصر النهـــائى ، ونحن نعلم ان الطريق الى تحقيقه شــاقة وعرة ، وانها ســتدمى أقدامنا قبل الوصول الى غايتنا المثلى ، فما كانت طريق المجد يوما مفروشة بالورود والرياحين، فستوضع فى طريقنا العقبات ، تلو العقبات ، ولكننا سنجتازها ... ان طريقنا محفوفة بالمخاطر ، وان علينا أن نكافح كفاحاً رهيبا مضنيا ، وان نتذوق طعم النضال ، فنجده مراً كالعلقم ، ولكننا نستسيغه بالرغم

من مرارته وسنجده فى فمنا أحلى من الشـــهد ، وألذ من أطايب الآكال ••• ولا بد ان نحقق النصر لهذا الشعب فى النهاية ، فارادة الشعب من ارادة الله •••

اذا الشعب يوماً أراد الحياة   فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليـــل أن ينجلى   ولا بد للقيـد أن ينكسر

ب• ذ•

انعتاق

- ١ -

لا يزال (نهاد) يذكر ذلك اليوم البعيد قبل ربع قرن من الزمان .. ذلك اليوم المشهود الذى قرر فيه مصيره دون استشارة أحد من بنى عشيرته ، ساعياً وراء السراب المنبعث من بعيد ، تتخلله نجوم لامعة تتلألأ على اكتاف رجال ضخام يتبخترون ببزاتهم العسكرية، تلمع على صدورهم الاوسمة والنياشين ... يتقدمون وسط الضباب الحالك من وراء التلال البعيدة ، بخطوات متزنة تتسق مع نغمات موسيقى عسكرية ترقص لسماعها القلوب ، وتهفو لها النفوس الحساسة ... مثل نفس ذلك اليافع الحدث الذى لم يتلق ضربات الدهر القاسية بعد ، فراح يركض ويركض وراء ذلك السراب الخادع الذى يحسبه الظمآن ماء ، ينقع فيه غلته ، ويروى عطشه ، فاذا به ينحدر فى هوة بعيدة الغور ، لا يكاد يجد فى داخلها متنفسا... حريته فيها مقيدة ، وسعيه فى مناكبها غير مشكور ، يكد فى الليل والنهار ، مخلصاً الخدمة ، صادق العهد ، مستقيم السيرة ... مؤثراً مصلحة المجموع على منفعة نفسه ... راغباً عن أكل السحت ، والحصول على الرشا ، متمسكاً بحرفية القوانين وروحها ، طائعا الانظمة والاوامر التى يتلقاها .... يقول الحق ولو على نفسه ، يجابه المخطىء بخطأه مهما علا شأنه وارتفعت مرتبته .

وهكذا استمر المسكين يحسب ان لضميره عليه حقاً ، ولوطنه عليه حقاً ، وانه قد ارضى ضميره ، وانه أدى ما عليه لوطنه ، فلا بد أن الآخرين الذين يراقبونه ويراقبون غيره عن كثب ، سيقدرون له

أعماله هذه ، وان الاوسمة والنياشين ستأخذ طريقها اليه ، والنجوم البراقة ستنهال عليه ، تزين صدره وكتفيه دونما تلكوء وابطاء ... وانه سينال بفضل جده واجتهاده أعلى درجات السلم ، بعكس الآخرين الذين لم ينهجوا نهجه او يسيروا على منواله ، اولئك التعساء الذين أعمى الله بصائرهم ، فساروا سيرة لا ترضى ضمائرهم قبل ضمائر غيرهم ، اذ كانوا فى غيهم سادرين ، وعن الواجب المحتم عليهم معرضين .

* * *

كان الفتى يذكر الماضى السحيق والحوادث التى توالت عليه ، وكأنها قد حدثت بالامس ، فها هو ذا يودع أهله فى مساء من أمسية شهر تموز منذ ثلاثين سنة خلت ، مسافراً الى حيث يدعوه الواجب ، والنساء من حوله يبكين لفراقه ، فكادت تجود عيناه بدمعة ، لو لا تذكره انه جندى ، لا يليق بمثله البكاء فعض على شفته ، وخرج من الدار متوجهاً الى المحطة وكان الليل قد ارخى سدوله والفتى واقف بباب احدى مقصورات الدرجة الثانية ، واصدقاؤه مجتمعون على رصيف المحطة يلوحون له بمناديلهم حين تحرك به القطار وبينهم والده الشيخ رافعاً يديه الى السماء يدعو اليه بالعودة سالماً .

وابتعد به القطار عن المدينة وأنوارها المشعة ، وأخذ ينظر من النافذة فلا يرى غير الظلام ، ولا يسمع الا صفير الرياح ، مختلطاً بالاصوات المنبعثة من آلات (ماكنة) القطار ، فعاد الى مجلسه وبدأ يفكر ... ها هو ذا قد انتقل من حياة التلمذة ضيقة الدائرة الى الحياة لعملية واسعة الارجاء ، حياة المسؤولية .. حياة الكد والعمل .. لقد انطلق ذلك (العصفور) من قفصه الضيق ، الذى طالما تمنى الخروج منه ، وتظلم من عيشته فيه ... منتظراً يوم النجاة ، بصبر نافذ .

نعم ... ان ذلك العصفور الذى كان يغرد ترنيمات الاسى فى سـجنه (المدرسى) ... يمرح الآن محلقاً فى الفضاء الفسيح مستنشقا نسيم الحرية ملء رئتيه ... ولكن من يدرى ... لعـله يزداد فى حياته الجديدة أسى على أساه ، فيملأ الجو حسرات كلما ذكر سجنه الماضى متمنياً لو عاد اليه ...

ظل يفكر ويفكر الى أن غلبه الكرى فنام نوما متقطعا ، تهدهده اهتزازات القطار الهادئة حينا والصاخبة احيانا ، كما يهدهد الطفل فى مهده الذى يهتز جيئة وذهوبا .. وكان هذا شأنه طوال ذلك الليل حتى ايقظه فى الصباح صراخ الباعة المتجولين على رصيف فى احدى محطات القطار وهم ينادون على بضاعتهم باسلوب جذاب (بيض .. لوبية .. خبز) فأطل من النافذة فرأى قرص الشمس يرتفع رويدا من وراء التلال البعيدة ، وكانت حمرته الشديدة واتساع دائرته يلفتان نظر صاحبنـا هـذا ، فقد كانت هذه اول سفرة يتجاوز فيها حدود بلده ، فدب فيه نشاط جديد ، وشعر بانتعاش لم يكن يحس به من قبل فابتسم لنفسه ، وصاح قائلا .. آه .. كم هى جميلة الحياة ... ؟

– ٢ –

كان الملازم الشاب فرحا مستبشرا ، فى ذلك الصباح لأن آمره قد امتدحه يوم أمس على مسمع من اخوانه الضباط ، لنجاحه نجاحا باهراً فى الدورة التى اشترك فيها قبل شهرين ... وذهب الى ميدان العرض بنشـاط اكثر من المعتاد وبعد أن اوشك وقت التدريب على الانتهاء حضر آمر الفوج يصحبه رجل بريطانى – فقد كان فى كل فوج آمر وطنى وآخر انكليزى يدعى المستشار تارة والمعلم او المفتش احياناً – وتوجه كلاهما نحو رهط من جنود الشـاب (نهاد) وانبطح الآمر الوطنى على الارض ممسكاً ببندقية أحد الجنود معدداً الاخطاء

التى ارتكبها الجندى ومتخـــذاً الوضع الصحيح ، وبينما هو يشرح الدرس إذا بالضابط البريطانى الذى تقل رتبته عن رتبة الآمر الوطنى يركله بقدمه طالبا اليــه اتخاذ وضع آخر .. وجن جنــون الضابط الشاب وهو يرى آمره الذى يحترمه يهان علناً على مرأى من الضباط والجنــود .. وصرخ بالضــابط البريطانى أن يكف عن هذا العمل المهين .. فالتفت اليه هذا واخرج من فمه سيلا من الشتائم المقذعة باللغــة الانكليزية ، ورد عليه الضابط الشاب بنفس اللغــة التى كان يتقنها ، فتكهرب الجو ...ونهض الآمر الوطنى قائما على قدميه وصاح بالضابط الشاب أن يتأدب وينسحب حالاً وانصاع هذا للأمر وذهب الى غرفته وهو يتميز غيظا ...

واجتمع الضباط من حوله وكان معظمهم من الشبــاب الذين لم يشــهدوا العهد التركى البغيض ، وقر رأيهم على ان يتقدم (نهاد) بالشكوى الى وزارة الدفاع يتهم فيها الضابط البريطانى باهانته وشتمه بصورة علنية .. وهكذا كان .. وارسلت وكالة القيادة العامة تطلب حضور الضابط للادلاء بافادته هناك وايد شهود الاثبات الاتهام الموجه الى الانكليزى المعتدى .. وارسلت الاوراق الى رئاسة البعثة العسكرية البريطانية فى الجيش .. وصدر الامر أخيرا الى الضابط الانكليزى أن يعتذر للضابط الشاب امام اخوانه ...

وارسل الآمر الوطنى فى طلب الضابط الى دائرته .. فقال له : (انى اعتذر اليك نيابة عن الصاحب البريطانى ، فقد وصله الآن كتاب من رؤسائه يطلبون اليه الاعتذار اليك)

قال هذا :

(ولماذا تعتذرلى انت ياسيدى ؟ انك لم تسىء الى قط)

قال : « لأن هذا ـ انكليزى ـ فكيف يعتذر اليك .. لقد احمر

وجهه من الغضب حين قرأ الكتاب»

قال : « فليغضب ماشاء له الغضب •• وانى اصر على ان يعتذر الي على مرأى ومسمع من اخوانى الضباط » •

وخرج الضابط الشاب وهو يعجب من هؤلاء القادة الذين هم أشد (انكليزية) من الانكليز انفسهم •• واستمرت المفاوضات اياما ثم انتهت بأن وقف الضابط الشاب بين يدى آمره وقفة الاستعداد ، وجلس (العلج) البريطانى منتفخاً على كرسى وثير ملاصق لكرسي الآمر الوطنى •• ونظر الى الضابط الشاب وقال له بكل برود (انا آسف • سورى)

- ٣ -

وقف (نهاد)بملابسه العسكرية فى مؤتمر رؤساء العشائر التى ساهمت فى الثورة العراقية الاولى مع لفيف من ضباط الجيش ، وقف يلقى قصيدة ندد فيها بالاستعمار والمستعمرين ووصف الانكليز على حقيقتهم ، فقد قامت الحرب المقدسة ضدهم فى ٢ ايار سنة ١٩٤١ واستمرت شهرا كاملا كافح خلالها الشعب والجيش كفاح الابطال ولكنهم خسروا المعركة خسروا الجولة الاولى ، ليعودوا الى العمل متى حان وقت الجولة الثانية ، الجولة الكبرى التى ستأتى فى يوم من الايام واذاع الراديو نبأ اجتياز قادة الثورة الحدود الى اراضى الدولة المجاورة فانكفأ على وجهه وهو ينتحب وقلبه يكاد يذوب حسرة على الآمال الضائعة ••• وجمع جنوده فخطب فيهم مواسياً ، داعياً اياهم الى الصبر والحكمة حتى يأذن الله للشعب بنصره فى اليوم الموعود •

وقبض على الابطال وعلقوا على أعواد المشانق واحداً بعد

واحد كأنهم مجرمون وصعدت أرواحهم الطاهرة الى جنات الخلد شاكية من ظلم المستعمرين الانكليز وأذنابهم •

ومر العيد الاول على المأساة واجتمع (نهاد) برفاقه فى الدار وقرروا اعلان الحداد فلا عيد لمن لا استقلال له ، وجاء نهاد بعباءة زوجته السوداء وبدأ هو ورفاقه يعملون فيها المقص • ليهيئوا شارات الحداد •• واصبح الناس ليروا الكثير من الشباب يحملون على صدورهم هذه الشارات ، وذهب الرفاق الى نادى الضباط صباح العيد يعلقون هذه الشارات على صدور اخوانهم الضباط وبلغت الجرأة بأحد الرفاق أن تقدم الى رئيس الوزراء الذى جاء يقدم التهانى الى الجيش بمناسبة العيد ـ بلغت الجرأة به أن يتقدم فيعلق على صدر « فخامته » شارة الحداد لان العيد هو يوم تتحرر البلاد من ربقة الاستعمار ، واضطرب صاحب « الفخامة » وكان من الرجال الذين يسمونهم « معتدلين » وهم أخطر فى نظرى من الذين يستعملون القسوة والشدة ••• فسكت موقتاً ••• ولكن الضابط الجرىء اعتقل بعد ساعات من القيام بعمله ذاك ••• وظل يخرج من السجن ليعود اليه من جديد حتى انتهى الى ما يشبه الجنون من شدة يأسه وحزنه •

ومرت الايام بطيئة متثاقلة ، وصاحبنا نهاد يشعر انه مضطهد لا ينال الترقية كزملائه فعلم ان اسمه قد ادخل فى القائمة السوداء ، ولكنه عجب كيف يتركونه يعمل ضابطاً لو صح ما تكهن به ••• وفكر ••• ثم فكر طويلاً ، فقال لنفسه لعلهم لم يجدوا دليلاً قاطعاً على ادانته ••• فكل فى ما فى الامر انه يحمل آراء لا ترتاح اليها

السلطة التى تستمد قوتها من الاستعمار ... وهذه الآراء يحملها كل اخوانه الضباط لا يشذ منهم الا القليل ... فهل بامكانهم أن يخرجوا كل هؤلاء ؟ لو حدث هذا لاصبح الجيش بلا قادة او ضباط ، وهم ليسوا من الجنون بحيث يملأون مناصب الجيش كلها بضباط من الانكليز ... وارتاح للوصول بافكاره الى هذه النتيجة ...

وجاء اليوم الذى سيقابل فيه الخائن الاكبر الوصى على العرش لاول مرة بعد عودته الى البلاد بحماية جيوش الاستعمار ، فلقد أخبره متصرف اللواء أن يوم غد سيكون موعد استقبال عدو الاله ، وكان صاحبنا يكرهه منذ زمن طويل ولم يسبق أن شاهده عن قرب أو تحدث اليه قبل اليوم ، وازداد كرهه له بعد فشل الحركة المباركة التى جرت فى سنة ١٩٤١ وشنقه للشهداء الابطال صلاح الدين الصباغ ويونس السبعاوى ومحمود سلمان وفهمى سعيد وكامل شبيب ... وأحس برعدة خفيفة تهيباً من هذا الموقف ولكنه شجع نفسه وتوكل على الله .

وأزف الموعد واستقبل المنافقون الخائن من حدود اللواء ، أما هو فانتظر فى دائرته حتى بعث المتصرف فى طلبه وذهب فوجد رتلاً منفرداً طويلاً من المستقبلين يتقدمه متصرف اللواء الذى تقدم فانحنى على يد الخائن الاكبر وقبلها وتبعه الآخرون يقبلون اليد الممتدة واحداً بعد الآخر ، حتى جاء دور صاحبنا ، فوقف أمامه منتصب القامة رافع الرأس وحياه التحية العسكرية ، فمد هذا يده البضة الناعمة وقد أخفاها فى قفاز حريرى أبيض ، وباطن الكف متوجه نحو الارض كما تفعل السيدات تماما ... ومد نهاد يده مصافحاً ومر من أمامه شامخاً بأنفه ...

وارسل المتصرف فى طلبه بعد عودة عميل الاستعمار ليخبره أن (الامير) قد استشاط غضباً وسأل عن اسمه ، وقرر الاكتفاء – بعد توسلات المتصرف الحارة – بنقله الى تلك البقعة النائية من أقصى الحدود الشمالية .

- ٤ -

فرغ الرجلان من طعام الفطور فى مطعم الضباط ومما تعودا احتساءه من أكواب الشاى يأتيهما به (الجندى) الموكول اليه خدمتهما كلما فرغا من تناول الطعام – يأتيهما به من تلك الخيمة الواسعة المتخذة (حانوتاً) الرابضة فى طرف المعسكر الغربى على سفح الجبل الشامخ ، المتوجة قمته بأكاليل الثلج فى أشعة الشمس المشرقة. ثم تحولا من مجلسهما حول المائدة الخشبية القديمة الى كرسيين من الخيزران كان قد أحضرهما ذلك الجندى الذى لم يذق شيئاً من الطعام منذ ظهر اليوم السابق ، اذ أخره عن حضور العشاء فى الليلة الماضية انشغاله فى صبغ حذاء مخدومه (علي) وتلميع ازراره ، وكان (علي) لا ينفك يصرخ حاثاً اياه على الاسراع فى عمله ، لانه مدعو الى حفلة (كوكتيل) فى المدينة (اقامها المتصرف) احتفاء بمقدم الجنرال البريطانى الذى وصل يوم أمس ، لتفتيش (الحامية) وقد بذل (الجندى) المسكين ما وسعه من جهد للانتهاء من صبغ الحذاء وتلميع الازرار النحاسية والنجوم البراقة ... ثم أخذ يساعد الضابط على ارتداء ملابسه ، والتزين بما يليق للحضور فى حفلة يحضرها الجنرال العظيم وهو يعلم مقدار اهتمام هؤلاء البريطانيين بالمظاهر والتقاليد ، فقد سبق له أن قضى ما يقرب من السنتين فى معسكر موحش ، فى بقعة نائية عن العمران تحيط بها الجبال من كل جانب ، تتساقط

الثلوج فيها باستمرار خلال فصل الشتاء فتتراكم حتى تسد الطرق المؤدية الى المعسكر ، فينعزل عن العالم خلال شهرى كانون وشباط ، فترى الجنود منهمكين كل صباح فى العمل على رفع الثلج المتراكم على سطوح الخيم بمجارفهم خشية أن تهوى سقوفها على ساكنيها تحت وطأة ذلك الركام من الثلج ••• فكان الضباط والجنود لا يأكلون طوال ذينك الشهرين غير التافه من الطعام ، من الحمص والبصل اليابس وغيره من البقول ، وحين ذابت الثلوج زارهم ضابط بريطانى برتبة (كولونيل) لقضاء اسبوع معهم ، يتفقد خلاله أحوالهم ـ كما يقول ـ ولكن زيارات هؤلاء البريطانيين ، وترددهم على المعسكرات النائية فى فترات متقاربة من الزمن ، تبعث على الشك والريبة ، ففى تلك المناطق الواقعة على الحدود تكثر تنقلات القبائل الرحالة بين حدود الدولتين المتجاورتين سعياً وراء الكلأ والمرعى ، او هرباً من اضطهاد هذه الدولة او تلك ، فى أيام معينة من العام ، كما تفعل بعض الاجناس من الطير ، فتهاجر أسراباً من وراء البحار الجنوبية الدافئة ، لتعود فى الموسم القابل باسرابها الهائلة الى حيث الدفء والقوت •

ويتلقف البريطانيون رؤساء تلك القبائل ، أو أفرادا منها يعقدون معهم أواصر الصداقة ، ويغرقونهم بالهدايا ، باذلين لهم من أحاديثهم المعسولة ومواعيدهم الخلابة ، ما لا طاقة للضباط (الوطنيين) بمثله • فقد تمكن (الدخلاء) من ابعاد الشقة بين هؤلاء واولئك ، بايغار الصدور ، وبعث الخوف والريبة ، استعداداً لايقاد نار الفتنة بين الفريقين متى شاؤا ، وتهيئة الجو للاصطدام المسلح متى اقتضت سياستهم ذلك •

وسواء أكانت غاية الكولونيل فى زيارته تلك ، تفتيش

المعسكر كما يدعى ، أم ملاقاة تلك القبائل الرحالة ، فقد امسى المساء فى المعسكر ذاك ، واذا بصوت البوق يدعو الضباط الى العشاء ، فقد كان لعشاء الضباط (نفخة) خاصة ولعشاء الجنود نفخة أخرى ، كما ان لكل عمل من الاعمال نفخة يعرفها العسكريون ، حتى الخيل والبغال كانت تفهم النفخة الخاصة (بالعليق) فهى تبدأ تضرب بحوافرها ارض الاصطبل حين تسمع صوت البوق الخاص بها ، تستحث بذلك السواس والجنود للاسراع بتزويدها بطعامها •

نفخ فى الصور ، وذهب ضابط (المطعم) يدعو الزائر الكريم للعشاء ، ويدله على الطريق الى المطعم المتواضع ، واذا بالدهش يعقد لسانه ، واذا به يكتم ضحكته بصعوبة ، فقد كان الضيف البريطانى يرتدى بدلة العشاء الرسمية المسماة (ماسكت) ذلك القميص الناصع البياض ••• (المنشاة) ياقته وصدره ، والرباط الاسود المصنوع على شكل (وردة) وتلك السترة القصيرة بلونها النيلى الغامق ، وهى لا تكاد تستر منتصف ظهره الاسفل ، والسراويل الضيقة الملتصقة بساقيه يتوسطها شريطان احمران ينتهيان بقطعتين من القماش يمران من تحت الحذاء الاسود اللماع يشدانه الى السراويل ، وأما الحذاء فليس فيه تلك الاشرطة التى تربطه ، اذ هو مؤلف من قطعة واحدة يبذل صاحبه جهداً غير قليل فى ادخاله فى قدميه وانتزاعه منهما ، وهو ينتهى من الخلف (بمهماز) من المعدن الابيض ، مما يستعمله الضباط (الفرسان) يخزون به الجواد ، ليحثوه على السير ، وما الحاجة الى المهماز فى هذا المقام ؟ فليس فى المطاعم خيول يركبها صاحبنا ، وهو يكاد يعجز عن السير حين يرتدى هذا الزى ، بله ركوب الخيل ••• ولكنه التقليد البريطانى ، ورحم الله أيام اجدادنا حين كانوا يتخففون من ملابسهم أثناء الطعام الا من ثوب خفيف فضفاض ، فيأكلون فى

راحة ما بعدها راحة • وقد كان الضيف (الكريم) وهو يســـير بين الجنود المنتشرين داخل المعسكر ، بزيه هذا أقرب الى المهرجين فى المسارح منه الى مفتش من كبار الضباط • وحين جلس الى المائدة التى لم يكن عليها ســـوى مرق البصل والحمص وقليل من الارز ، كان مبعث دهش الضباط الجالسين حولها ومثار ضحكهم ، الذى كانوا يكظمونه خوفاً وحياء من الضيف المحترم •

وقد عرف (علي) منـــذ تلك الليلة ان لهؤلاء الانكليز تقاليـد لا يتنازلون عنها مهما قست الظروف المحيطة بهم وها هو وقـد مرت سنوات أربع على تلك التجربة يبذل جهداً غير قليل فى التزين والاناقة ليشهد حفلة (الكوكتيل) التى أقامها المتصرف على شرف جنرال من هؤلاء ، فحرم بسبب ذلك مراسله (الجندى) من الحصول على قسطه من الطعام فان الجنود يتناولون طعامهم فى (قصع) من النحـــاس ، يخصص لكل بضعة جنود قصعة منها وما الطعام هذا الا مقـــدار من الارز يصب فوقه قليل من (المرق) الذى يحتفظ به الطباخ من وجبـة طعام الغداء • وبعد ان يوزع الطعام على القصع بنسبة عدد اصحابها ، يأكل الطباخون ما تبقى منه ، فى قعر تلك القدور الضخمـــة ، ثم ينظفونها ويوقدون النار مجددا لتهيئة طعام الفطور لليوم التالى ، وهو يقتصر على الحساء (الشوربه) فقط ثم يوزع الطعام فى مطلع الفجر ، دون شيء من الخبز ، فلا يأكله معظم الجنود اما لردائة طبخـــه أو لانشغالهم بالتهيؤ للتدريب ، أو لهذين الامرين معاً ••• وكان صاحبنا الجندى ولنسمه (جاسماً) مشغولا بتهيئة فطور الصباح •

وتذكر جاسم ••• كيف امتلأ قلبه حسرة ، وامتلأت نفســه ثورة على المجتمع بادىء الامر ، ثم كيف روض نفســه على الصبر والاحتمال يوما بعد يوم ••••• معللا نفسه بالآمال فى خدمة بلاده

عن طريق (الجندية) ... فمن يدفع العدو عن حدود الوطن الغالى ، ومن يكافح هذا الاستعمـار البغيض الجاثم على صدور المواطنين منذ عشـرات السنين لايتحول عن ارضهم تلك ولا يريم ... من يفعل كل هذا اذا تهرب جاسم وامثال جاسم من (الخدمة) .... ذكر هذا ... وذكر كيف قضى سنى الدراسـة جادا مجتهدا ، وكيف كان اساتذته يتحدثون بسلوكه الحسن ونجاحه المطرد ، حتى اصبح مضرب الامثال ، وكيف اشترك قبيل الامتحان النهائى للدراسة الاعدادية فى احدى (المظاهرات) التى قام بها زملاؤه من طلبة المعاهد العاليـة ، احتجاجا على مشروع من هذه المشـاريع الاستعمارية ، التى اخذت تظهر فى الآونة الاخيرة ، بشتى الصور ومختلف الاشـكال ، صور ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب . وذكر كيف قبض عليه رجال الشعبة الخاصة ، مع من قبض عليه من اخوانه الطلاب . وكيف سيق الى سراديب التعذيب ، فتحمل من الآلام ما الله به عليم ثم سيق الى المجلس العرفى العسكرى ، فبرأه المجلس لعدم توافر ادلة اداناته

وقد تعددت التهم التى يلصقهـا الحاكمـون باحرار الفـكر ، المتطرفين فى وطنيتهم . حسب الظروف والاحوال التى يكون فيهـا (الاستعمار) .. فقد كانت « النازية » تهمة العصر فى يوم من الايام ، ثم انقلبت فكانت محمودة ، واصبحت الشيوعية « تهمة العصر » الذى عاش فيه ابطال قصتنا ، ومنهم « على » و « نهاد » .

واما جاسم فقد قضى ما تبقى من ايام خدمته عليلا ... لايكاد يغادر المستشفى حتى يعود ليدخله من جديد ... واصيب أخيرا بداء « السل » وقرر الاطباء اعفائه من الخدمة العسكرية فذهب يحمل فى احـدى رئتيه الداء لينشره بين أهله واقربائه ومعارفه ... وعاش ما شـاء الله له أن يعيش ... عاش كما تعيش هذه الالوف المـؤلفة

والملايين من امثاله التعســاء ، المعذبين فى الارض الذين لا تختلف عيشتهم عن عيشة البهائم فى كثير أو قليل ، بل ان من البهائم ما لاينزل الى هذا الدرك الذى تعيش فيه هذه الطبقة المظلومة ، فان كثيراً من الكلاب المدللة يتهيأ لها الطعام والشراب والحمام الساخن ما ليس يحلم بنيله انسان من ذلك الطراز ... هــذه الطبقة الجائعة التى لا تملك ما تتقى به حر الهجير صيفاً ، ولا قارس البرد شـتاء والتى تفترش الارصفة وتلتحف السماء ... هــذه الطبقة المريضة التى ليس لها ما تشترى به الطعام الذى تسد به جوعها بله الدواء الشافى من المرض ... فاذا ذهبت الى احد المستشفيات فى الصباح ســتجد الكثير من افرادها مكدسـين على الابواب ، وما عليك الا أن تقيس ما تراه من أحوال هؤلاء فى العاصمة على حالة البؤساء المنتشرة قراهم فى جبال الشمال ومستنقعات الجنوب ، لتعرف كيف يعيشـــون وبمَ يقتاتون واين يسكنون .... لقد ذهب جاسم لينضم الى الوف (الجواسم) ممن حدثتك عنهم ... منتظرا اليوم الموعود .. يوم الحرية والانعتاق ... كامثاله من الكادحين .. ؟

- ٥ -

اخذت (نهاد) ســنة من النوم ، فرأى فيما يرى النائم كأنه فى صحراء جرداء ، يكاد ترابها يلتهب من شدة حرارة الشمس ، وقد تناثرت اشلاء القتلى هنا وهناك ، الى جانب الاسلحة المختلفة اشكالها ، مبعثرة فوق كثبان الرمل وفى الاخاديد ، بينهــا دبابات محطمــة ، وهياكل طائرات محترقة ... وقد أحس بظمأ شديد فجف حلقــه وما عاد باستطاعته ابتلاع ريقه ، فأخـذ يدور بعينيه فى أرجاء المكان ، ثم أخذ يهرول هنا وهناك عله يجد غديراً أو وادياً فيه ماء يطفىء به ظمأه أو شجرة يأوى الى ظلها ... وبعد أن أعياه البحث ونال منــه

التعب ، وقف يخاطب نفسه قائلا :

« ايه .... ايهـا المسـكين ...

من أين والى أين ؟

من وطنك ومسقط رأسك .. الى بلاد غير بلادك .

من محبيك واهلك ... الى مقاتليك واعدائك .

من الرياض الغناء والطيور المغردة والانهار الجارية ... الى الصحراء المقفرة والشمس المحرقة من نغمات الموسيقى الرقيقـة الهادئة ... الى دوى القنابل الصاخبة المزعجة .

من السـلام ... الى الحرب ...

من الحياة ... الى الموت ...

ولِمَ ذلك ؟ والى اية غاية أنا سائر ...

الى قتل اخوانى الاحرار فى الجبل الجميل الأشم .

ولمـاذا ؟

لأدافع عن عميل الاستعمار ضد شعبه الثائر عليه .

آه ... ولـكن كيف أترك وطنى ورائى تسـحقه أقدام الطغـاة ... واذهب لأقاتل شعباً يريد الحرية لوطنه ... فأكون حرباً عليه وعوناً لمستعمريه ، جلادى الشعوب ... » .

وحانت منه التفاتة فرأى ويا لهول ما رأى ... لقـد بدأت تلك الاشـلاء تتحرك ، لقد دبت فيها الحياة ... انهـا تقف على أقدامهـا ... ان تلك الهياكل العظميـة قد زحفت جموعهـا الغاضبة ... نحو مغرب الشمس وهى تهتف بسقوط الحرب ... واذا به ينجرف معها دون ارادة منه ... ويشاركها بهتافاتهـا ... واذا به يرى الجموع تقف فجأة وتنظر ناحية الافق فهناك ارتسمت على صفحة السماء صورة بطل ... بطل عظيم يرتدى البزة العسكرية وهو

يلوح بيده للجماهير التى أخذت تتدفق نحوه هاتفة بحياته ... صارخة وقد أفقدها الفرح رشدها او كاد .

« لبيك أيها المنقذ ... هيا بنا وقدنا الى النصر فأرواحنا فداء للوطن » ...

وكان يقف بجانبه بطل آخر يرتدى نفس البزة وقد اعتلى ظهر دبابة ضخمة وأخذ يخطب الجماهير التى جن جنونها فاندفعت هائجة مائجة وهى تصيح .

« الى قصر الطاغية ... فقد آن أوان الحساب » ... ثم اذا بالسكون يخيم على المكان مرة أخرى ... واذا به يسمع صوتاً شجياً كأنه آت من السماء ... فيبلغ شغاف قلبه ... وكأنه يسمعه بقلبه لا بأذنيه .

« المجد لله فى الاعالى ، وللناس المسرة ، وعلى الارض السلام ».

ويحس بشىء من الهدوء مشوباً بقليل من الرهبة ... واذا به يستيقظ من نومه على صوت المؤذن يردد بصوته العذب الحنون ، فى مطلع الفجر :

« الله اكبر .. الله اكبر ـ الصلاة خير من النوم » .

- ٦ -

اجتمع الضباط فى قاعة المحاضرات من (الثوى) بناء على أمر مستعجل أصدرته قيادة القوة المرابطة هناك ، وقد سرى بين المجتمعين همس مبعثه اشاعة فحواها ان أمراً ذا بال سيطرح على الحاضرين ليؤخذ رأيهم فيه وان مستقبل كل ضابط ومصيره متوقف على نوع الاجابة التى سيجيب بها على ما يوجه اليه من اسئلة .

وحضر (ضابط) كبير قد زينت الاوسمة صدره الواسع ، والتمعت (حفنة) من النجوم البراقة على كتفيه ، فقام الجميع اجلالاً

له ، فأشار اليهم بالجلوس وبدأ يتحدث دون مقدمات يمهد بها للدخول فى الموضوع الذى جاء من أجله .. قال :

« ان الحالة فى العاصمة تسير من سىء الى اسوأ ، فالمظاهرات قد توسعت ، والمعركة لا تزال على أشدها ، ولا مناص من تدخل قوات (الجيش) لاعادة الامن الى نصابه ، وحفظ هيبة الدولة .....».

وما وصل فى حديثه الى هذا الحد حتى انبرى له صاحبنا نهاد مقاطعاً :

« وماذا تريدنا أن نفعل الآن ؟ نهىء جنودنا وانفسنا لسفر عاجل ... ونعد للجماهير ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل ، نرهبهم بها ... نهاجمهم بمدافعنا الرشاشة فنحصد جموعهم حصداً ... ومن هم هؤلاء ؟ وماذا يريدون » .

فأجابه « كبيرهم » :

« رعاع ... مشاغبون ... يرفضون المعاهدة ... ويطالبون بالجلاء » .

قال صاحبنا :

« وانا ارفض المعاهدة ايضا ... واطالب بجلاء المستعمرين عن هذه التربة المقدسة التى دنسوها منذ وطأتها أقدامهم القذرة ... ثم من هؤلاء الذين تسميهم رعاعاً ؟ انهم ابناؤنا واخواننا وبناتنا ... ان من بينهم (ولدك) الحبيب ، وابنة زميلى (فلان) وشقيق صديقك فلان ... فكيف تطاوعنا قلوبنا على الفتك بهم ..... » .

٧

وكانوا ثلاثة نفر ، تعارفت منذ « اللقاء » الاول ارواحهم ، فائتلفت قلوبهم ، وقطع كل واحد منهم على نفسه عهداً لئن ساعده الحظ دون صاحبيه ، فشق طريقه الى التقدم والمجد ، وكان اكثر منهما مالاً واعز

نفرا ، ليأخذن بيد صاحبيـه فينتشلهما من وهدتهما ، ويهيء لهما من امرهما رشدا ، ويقاسمهما ما اتيح له من مال ونشب .

وكان صباح وكان مسـاء ، وفرقت الايام بين « رفاق الصبا » الثلاثة ، وسار كل فى طريقه الذى قدر له أن يسير فيه ، فاذا بأحدهم يصبح بين عشية وضحاها ملء السمع والبصر ، مرهوب الجانب ، مسموع الكلمة ، يأتيه رزقه رغدا حيث يشاء ..

أما الآخران فأحدهمـا قد هجر بلاده ضاربا فى الارض هربا من ملاحقة الطغاة المستبدين واما صاحبنا « نهاد » فقد احس بخطرة نسيم تمس وجهه وشعره مسا رقيقا ، فانتبه لنفسه ، وهز رأسه بعنف كأنه يطرد تلك الذكريات المؤلمة ....

وطرق اذنيه صوت انفجار قنبلة ، اعقبه ازيز رصاص البنادق ولعلعة الرشاشات ، ودوى الهتافات الصاخبة ، وخرج الى الشارع مهرولا ، فرأى جموع الشعب تزحف هاتفة باسم البطل المنقذ عبدالكريم قاسم ... وانتشرت فى الشارع دبابات الجيش الضخمة ، وقد اعتلى احداها البطل عبدالسلام عارف وهو يخطب الجماهير ويعاهدها على الخدمة الصادقة .... وزحفت الالوف المؤلفة من ابناء الشعب نحو القصور الملكية وقصر الطاغية نورى السعيد ، مدمدمة مزمجرة ، تخمد الانفاس القذرة وتحطم التماثيل التى كانت جاثمة على الصدور كالكابوس ... وركض نهاد مشاركا هذه الجموع فرحتها ، وهو يصيح .. الثورة .. الثورة ... البطلان عبدالكريم قاسم وعبدالسلام ... اللهم حمدا وشكرا ... لقد تحققت احلامى واحلام الشعب ... هذا تأويل رؤياى ...

وأخـذ يستنشق نسيم الحرية عذبا مستسـاغا ، فرحا مبتهجا بما تم للشعب على يد الجيش الباسل من حرية و(انعتاق) .



سيادة الفريق الركن نجيب الربيعي
رئيس مجلس السيادة



بطل القومية العربية المتحررة

سيادة الرئيس جمال عبدالناصر



بطل الثورة سيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم
رئيس مجلس الوزراء



بطل الثورة سيادة العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف
نائب رئيس الوزراء



الاستاذ محمد سلمان

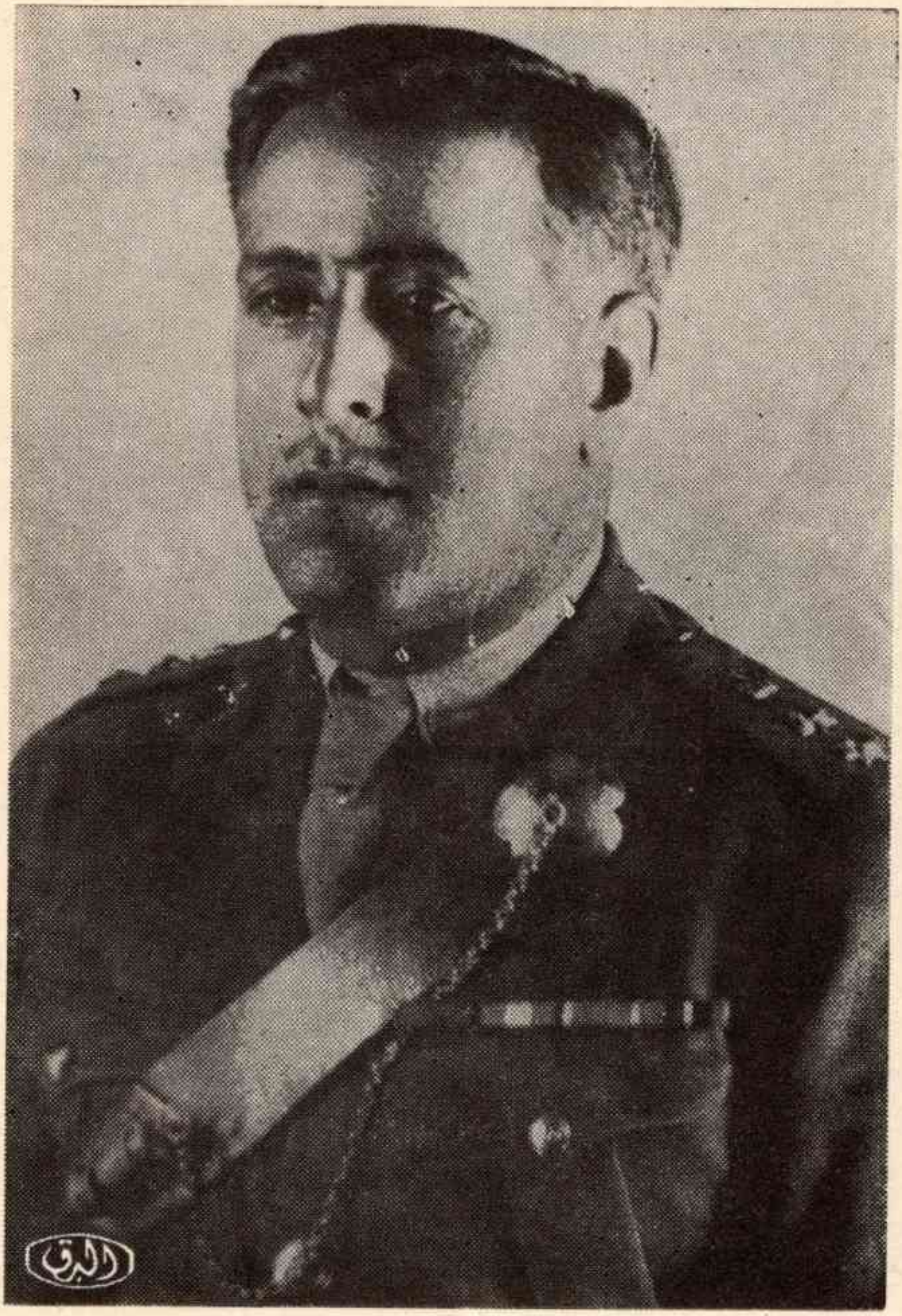
شقيق الشهيد محمود سلمان



الشهيد محمود سلمان



الشهيد يونس السبعاوى



الشهيد صلاح الدين الصباغ



الشهيد فهمي سعيد

توزيع

شركة فرج الله للمطبوعات

الثمن

٥٠ فلساً

طبع : شركة التجارة وا [illegible]

شارع الاحرار ـ صالحية بغداد